۱۶۶۳۶

مجله	التضامن الاسلامی .
تاریخ نشر	جمادی الثانی ۱۳۹۳
شماره	دوازدهم سال بیست و ششم
شماره مسلسل	
محل نشر	مکهٔ مکرمه
زبان	عربی
نویسنده	احمد حسین
تعداد صفحات	۷۶۳ — ۷۶۶
موضوع	العلم والمال فی الاسلام
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحضات	

العلم والمال فى الاسلام

تاليف : الأستاذ احمد حسين

عرض وتلخيص حسن عبد المقصود

يبدأ المؤلف كتابه باسم الله الرحمن الرحيم
ثم يتحدث عن العلم والحياة فيقول : العلم ينبوع القوة الاول والاخير وبغيره لا تتوفر القوة ، ولو اجتمعت بقية العناصر الاخرى .

العلم هو غاية الحياة الدنيا وهو وسيلتها في نفس الوقت ، هو هذه المنحة الربانية التي أودعها الخالق في الانسان ليكون خليفته في الارض ، فيحكم ويسعد ويسيطر على بقية العناصر والكائنات ، كما قال وقوله الحق : « وعلم آدم الأسماء كلها » . فالعلم هو الشعلة المقدسة التي تضيء لنا طريق الحياة ، وتحقق لنا الكرامة والعزة الانسانية والحرية .

هو سلاح الانسان للدفاع والهجوم والتغلب على كل ما يعترضه من عقاب ، ومن بني جنسه أو من الحيوان ، بل من الجماعات والعناصر واحداث الزمان . . العلم هو الحبل الممتد من الخالق الى المخلوقين .. ليصلوا عن طريقه الى الحقيقة الخالدة الاولية ، التي كانت علة وجودهم .. والتي هي منتهى سعيهم وكدحهم .

العلم هو صفة الرب الكبرى ، هو النبع الذي فاض منه الوجود بما فيه من مخلوقات ، هو الناموس الذي يحفظ لهذا الكون قيامه ودورانه وتوازنه وتجاوبه ، وتنافسه وتآلفه ، وما بث فيه من حياة .. هو دعامة الحياة ووسيلتها وهو سرها ومحورها .

ثم يقول :

والعلم غاية الحياة. ولذلك فلم يكن للبشر قد وجدوا على هذه الأرض ، أفرادا وجماعات ، ما يشغلهم اذا فرغوا بين طعامهم وشرابهم الا العلم بما لم يعلموا ، والبحث خلف المعرفة الكاملة الصادقة ، لكل ما يحيط بهم ويتصل بحياتهم ، فاستطاع كل جيل من الاجيال ان يظفر بجزء جديد من العلم ، يضيفه الى ما ورثه عن الاقدمين من معارف .

فالانسانية تسير قدما نحو الأمام ، نحو العلم والمعرفة، لتدرك من أسرار الكون وعوالمه مالا يزال حتى اليوم خافيا ، متخذة من بعض العلم سبيلا لتحصيل البعض الآخر ، ومن الوصول الى احدى الدرجات لارتقاء درجة جديدة .

● ● ●

هكذا خلقت النفس البشرية ولهذا أعدت ، وصوب هذه الغاية اندفعت .

على ان العلم اذا كان غاية الانسان في الحياة فهو وسيلتها أيضاً .

فما المصانع التي تقوم عليها حياة الانسان الا ثمرة من ثمرات العلم والانتفاع بحقائقه وتطبيقاته ، وكل ما يحيط بنا ويملأ حياتنا من طعام نأكله او شراب أو لباس نلبسه ، أو مسكن نقطنه ، أو متاع نستمتع به، أو سرور نفخر به ، أو أمن نعيش في ظله ، ليس ذلك كله الا ثمرة العلم الذي حصله قبلنا والذي يجب ان ننقله ونحمله لمن يجيئون بعدنا ، وبغير ذلك لا تكون حياة .

وما من شر يعانيه الانسان في الحياة الا وهو الاثر المباشر للجهل والغفلة ، وما من نقص يشعر به الانسان

في كل ما يحيط به او يتصل بحياته وكيانه المادي والمعنوي الا وهو النتيجة الحتمية لما هو فيه من جهل وغفلة •

فالعبودية ، وهي فقدان المرء حريته ، وخضوعه لسلطان غيره وارادته لا يمكن ان يقع الانسان فيها ويرضي بها الا من جهله • والخوف لون من العبودية ومصدره الجهل • وهو كذلك مصدر الفقر والمرض •

ثم تحدث المؤلف عن القرآن والعلم فقال :

كان اول ما استفتح به القرآن الكريم اظهار شرف العلم ، فهو منتهي آمالهم وواسطة حياتهم ، فقد رفعه القرآن مكانا عليا ، ودل على أهميته وخطورته ، وأبرز من شانه كل ما صغر وكبر وعرف بوسائله وطرائقه وشرائطه وعناصره ، واشاد بالعلماء والمتعلمين ، وذم الجهل والجاهلين • ونعتهم باشنع النعوت واحقرها ، فجعلهم شرا من الدواب واحط منها واضل •

كان اول ما استفتح به القرآن اظهار شرف العلم ومكانته ، وانه كبرى النعم التي أنعمها الله على الانسان فاستحق من أهلها ان يعبد ويشكر •

فقال وقوله الحق : « **اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم • الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم** » •

وهكذا من الله على الانسان ان هداه اليه وعلمه من اسرار الكون والحياة مالم يكن يعلم ، ومالا تعلم سائر الكائنات ، كما دلت على ذلك آيات خلق الانسان : « **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم • قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انباهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني اعلم غيب السموات والأرض ، واعلم ما تبدون ، وما كنتم تكتمون** » •

• • •

خالق قد اختص الانسان بالمعرفة كما اختصه بالحرية ، وجعل العلم والمعرفة هما منتهى سعيه وكدحه •

والعلم هو ثمرة استخدام الحواس من نظر وسمع ولمس والتامل بواسطة العقل فيما تحمله من صور وموضوعات ، ثم اصدار الحكم على هذه الأشياء من حيث ما هياتها ومدلولاتها واسبابها وعلاقتها بغيرها ، ومدى ما يفيد الانسان منها • •وهذا هو ما دعا اليه القرآن الكريم والح في الدعوة اليه •• فطالب الانسان بان ينظر في ملكوت السموات والأرض في كل ما يحيط به ويتصل بـه • وان يفكر في ذلك كله • وينفذ الى حقائق الاشياء ويربط بعضها ببعض • وان ينتقل من المحسوس الى المفهوم ومن المنظور الى غير المنظور • وان يستند في ذلك كله الى بديهيات العقل التي الهمها الهاما • وخلقت واياه ، من ان لكل شيء سببا ، وعلة لا يكون الا بها ، وان الكل اكبر من الجزء وان الشيء لا يمكن ان يكون موجودا او غير موجود في آن واحد • وغير ذلك من البديهيات التي هي أول صفات العقل وعلى هذا الأساس دعا القرآن • الانسان للنظر في كل شيء ، والتامل في كل شيء ، ابتداء من السماء ذات البروج • والرعد والبرق ، حتى الدويبة والحشرة • والجرثومة والبذرة •

ثم اورد المؤلف الآيات القرآنية المؤيدة لذلك ••

ثم قال : واذا كان القرآن قد اعلى من شأن العقل وسلطانه • فقد جعل العلماء تبعا لذلك صفوة خلقه وعباده وخلفاءه على الأرض ، والحفاظ على أمانته وجعلهم هم وحدهم الناس ، وبقية الخلق دونهم في المرتبة والمقام فقال ، وقوله الحق : « **وما يعقلها الا العالمون** » •

« **انما يخشى الله من عباده العلماء** » • فاختصهم بالادراك والمعرفة وخشية لله ، وهي ميزة البشر ومظهر كمالهم •

• • •

ثم تحدث عن المسلمين والعلم وجهود العرب في هذا الميدان • فما كاد المقام يستقر بالعرب ، وتهدأ موجة الفتح الأولى حتى اقبلوا على ما وجدوه بين ظهراني الأمم المفتوحة من علوم ومعارف • فاطفاوا بها ظماهم الى المعرفة •• واختاروا منها الطيب الصالح ونفوا الخبيث والطالح •

ووصل العرب والمسلمون الأوائل الى درجة رفيعة في العلوم والمعارف حتى وقفت أوربا منهم موقف التلميذ من الأستاذ ، فما أعجب ، وهذه توجيهات القرآن ، وهذه هي حال المسلمين الذين استرشدوا بهديه وتاثروا بروحه ، ان يخلف من بعدهم خلف نكسوا على رؤوسهم ونكبوا في عقولهم ، وشلت هممهم وعزائمهم ، فاذا بهم يسمون الى الظلام الذي اخرجهم القرآن منه • واذا بهم يعرقون الى الاذقان في لجة الجهل والعطلة والجمود والقعود•

فبلغ ذلك منهم ما بلغه من أمثالهم ، فيهوون من حالق • ويكتسون ثياب الذل والهوان مستبدلين بصولجان العز والسلطان أغلال الرق والاستبعاد •

ثم طالب المؤلف بمحاربة الأمية بكل الوسائل وكافة الطرق • وان تعبأ العناصر المتعلمة في الأمة كلها للقيام بهذا الواجب المقدس نحو مواطنيها لانتشالهم من هاوية الجهل السحيق ولادخال النور في حياتهم •

ولن تستحق أمة من الأمم في عصرنا الحديث ان تاخذ مكانها بين الأمم المتحضرة • وان يكون لها صوت في حياة البشر ما بقي فريق كبير من ابنائها في عماية الأمية والجهل•

• • •

ثم تحدث المؤلف عن المال في الاسلام فقال :

ان العلم وسيلة الكمال والقوة ، وهو في حد ذاته كمال وقوة ، وليس المال كذلك لأنه لا يعدو ان يكون وسيلة لا يتم بدونها ادراك غاية من الغايات ، صغرت او كبرت ، جلت أو حقرت ، فالعلم نفسه لا سبيل اليه الا عن طريق المال •

والمال موضوع طال فيه النزاع قديما وحديثا بين افكار متعارضة واذا كان العلم لا خلاف على ضرورة تحصيله ، وان اختلف الناس في نوعه وموضوعه ، فالمال لا يلقي مثل هذا الاجماع على ضرورة تحصيله بل انه يلقي عداء شديداً في بعض الآراء على الرغم من حاجة الناس اليه جميعا وشقائهم وجهادهم في سبيل الحصول عليه ، والاستزادة منه ، لا فرق في ذلك بين رفيع ووضيع أو بين غني وفقير • وقد يرى البعض منهم ان الدعوى الى الغنى بمثابة دعوة الى الاقبال على الدنيا والانصراف عن الآخرة• ولكن الواقع أنه لا فارق بين هذه الدنيا وبين الآخرة ••• ذلك لأن الدنيا مزرعة الآخرة ••• ومن لم يعمل في دنياه لم يحصد شيئا في آخرته • وان الذي يهمل الدنيا ويحتقرها ينتهي بان يضيع الدنيا والآخرة •

ثم يقول المؤلف :

ان الغني هو الأصل في الانسان ، وان الفقر هو العارض ، ذلك ان الغني بمثابة الصحة •• والفقر بمثابة المرض •• فكل غني صحيح ، وكل فقير مريض •• والرضا بالفقر والقعود عن دفعه هو بمثابة الرضا بالمرض والقعود عن معالجته ••• ولا يستوي المريض والصحيح ، كما لا يستوي العاجز والقادر ، ولا الأعمى والبصير •• ولا الظلمات والنور •

ثم يقول :

يقف الاسلام من المال موقفا هو احدى آيات الاسلام البينات وانه جاء دينا عاما شاملا لتنظيم الدنيا وعمارة الكون •• ولذلك جاء على النقيض من دعوة المسيحية ، ولعل السبب الذي جعل المسيحية تنحو هذا النحو الغريب في محاربة المال ، هو انها كانت دعوة محلية تتصل بظروفها الزمنية والمكانية ••• لقد جاء المسيح مصلحا لليهود وعباد المال الذين عملوا منذ اقدم العصور على سلبه من أيدي الآخرين •

اما الاسلام فقد جاء ليكون دينا عاما شاملا صالحا لكل زمان ومكان فجاءت احكامه وقواعده مقررة لسنن الوجود ومنظمة لها ، وعدوة لنظامها وكيف يتمتع بها على خير الوجوه •

ولما كان المال هو مادة الحياة ووسيلتها ، فقد عنى الاسلام بـه اعتناء شديدا ، فامتدحه وامتدح حسن استعماله ، وأرشد الى ضرورة حفظه ووقايته من التلف والخسران ، ثم عالج آفاته ومشاكله مما يذهب بشره ويبقى خيره وبركته •

يقول القرآن الكريم « **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما** » •

فالقرآن يصف المال بانه قوام الحياة ويقول :

« **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا** » •

فالمال في قول القرآن هو زينة الحياة الدنيا وبهجتها وليس كما يظن الظانون انه لعنة الدنيا وآفتها ، وزاد القرآن على ذلك ان قرن المال الى الولد وجعلهما صنوين في انهما نعمة الحياة الدنيا •• ثم أرشد القرآن الى ان

هذا المال نفسه وسيلة الحصول على الحياة الأخرى التي تفضل هذه الحياة الدنيا .. وذلك بانفاقه في سبيل الخير والبر والاحسان .

***

ولما كان الاسلام يكاد يأمر المسلمين بالغنى أمراً ، فقد أرشدهم الى طريق تحصيل الغنى والثروة بان دعاهم الى العمل والسعي والطلب والضرب في الأرض بالهجرة والانتقال في طلب الرزق . .وهو ما أدركه الأوربيون فيما أدركوا من آيات الاسلام الجليل ، فساحوا في الأرض وهاجروا من الغرب الى الشرق ، ومن الشرق الى الغرب فوجدوا في مهاجرهم الثروة والغنى . والقوة والحرية ... بينما قعد المسلمون عن التماس هذه الوسيلة ... واخلدوا الى الأرض فضاقت بهم وكان حقاً ان تضيق فصاروا الى ما صاروا اليه من فقر وشقاء ، وهكذا ما من فضيلة حصلها الأوربيون بجدهم واجتهادهم الا ودعا اليها الاسلام معتنقية منذ الف وثلاثمائة وتسعين عاماً .

يقول الله سبحانه : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » .

ويقول : « فاذا قضيت الصلاة ، فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ... واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

وبعد ان نبه الاسلام الى ان العمل والانتاج والمهاجرة هو سبيل الغنى ، راح يضع الأنظمة لحسن ادارة المال وما يزكيه ، ويضاعف في بركته وتعمته على الناس اجمعين ... ذلك ان المال عنصر خطر اذا احتكره أقوام وحاولوا دون وصوله الى الآخرين ... أو اتخذوه وسيلة لارهاق المحتاجين والمعوزين ، أحدث ذلك الفتن والشرور، وخلق الجريمة فجاء الاسلام بعلاج ذلك كله علاجاً ناجعاً شافياً موفقاً .. وآفة المال الكبرى هي حبسه عن التداول ، والامتناع عن انفاقه والشح به ، والضن به على الفقراء والمعوزين ، فتوعد من فعل ذلك بأشد صنوف العذاب . بقوله سبحانه :

« ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم » . (١٨٠ آل عمران)

وقد عالج الاسلام بفرض الزكاة التي تؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء أخطر آفات المال وأكثرها تدميراً للمجتمعات .. فالله لم يخلق المال لكي يودع في باطن الأرض أو في جوف الخزائن وفي خفايا الجدران ، وانما خلقه ليكون أداة من أدوات الانتاج والتعمير ، واشباع حاجات الانسان المختلفة التي تحقق تطوره وارتقاءه وذلك لا يكون الا بانفاق المال . واستثماره وتداوله ، وعدم احتكار الأغنياء له .